مجلة دراسات إسلامية
المجلد : 16 العدد : 02 السنة : 2021
ISSN 1112-8011 رقم
ص 35 – 48

السيرة النبوية: الخصائص والأهمية

Biography of the Prophet: Characteristics and Importance

رشيد كهوس *

كلية أصول الدين بتطوان، جامعة عبد المالك السعدي، المغرب rachid1433@yahoo.com

تاريخ الارسال : 2021/11/23	تاريخ القبول : 2021/12/11	تاريخ النشر : 2021/12/22

ملخص:

هذا البحث دراسة مختصرة حول الخصائص العامة للسيرة النبوية الشريفة وأهميتها العلمية والعملية، والتربوية والاجتماعية والحضارية في سائر جوانب الحياة البشرية.

وقد تناول الباحث ذلك من خلال محورين: خصص الأول لمفهوم السيرة النبوية وخصائصها، أما المحور الثاني فقد تناول فيه أهمية السيرة النبوية في الحياة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية :

السيرة النبوية، الخصائص، الأهمية.

Abstract:

This research is a brief study on the general characteristics of the noble Prophet's biography and its scientific, practical, educational, social and cultural importance in all aspects of human life.

The researcher dealt with this through two axes: The first was devoted to the concept of the Prophet's biography and its characteristics, while the second axis dealt with the importance of the Prophet's biography in human life..)

Keywords: Biography of the Prophet, Characteristics, importance..

* المؤلف المرسل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

الحمد لله رب الأرض والسموات، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا مُحَمَّد خير البريات وأشرف الكائنات وعلى عترته آل بيته وأصحابه وأزواجه الطاهرات.

أما بعد؛ فإن لسيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة عظمية في قلب أمة الإسلام، ومكانة عظيمة عند أعلامها الجلة الكرام, فهي الأنموذج الإنساني الكامل الذي تجلت فيه قيم الوحي وهدايات السماء وسنن القرآن.. وهي سيرة رسول اصطفاه الله لرسالته، وأنزل عليه خير كتبه، وعظم قدره، وشرف ذاته، وزكى أخلاقه، ورفع مقامه في الدنيا والآخرة.. فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال : «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ»[1].

إن سيرة سيدنا رسول الله ﷺ لم تكن فترة تاريخية بشرية مضت وانقضت؛ وإنما كانت ولا زالت تمثل ماضي الإسلام وحاضره مستقبله، لأنها مرتبطة بالوحي السماوي، وبالنبي ﷺ الأسوة الحسنة للبشرية جمعاء من مبعثه إلى قيام الساعة.

من أجل ذلك وجب على أمة الإسلام أن تعتني بها بحثا ودراسة، وتنزيلا عمليا في سلوكها وحياتها المعاصرة، حتى تعود لها خيريتها وعزتها ومكانتها اللائقة بها، فهي منطلق النصر والتمكين، ومفتاح المجتمع الآمن والعمران الإنساني الأخوي.

أهداف الموضوع:

-بيان مفهوم السيرة النبوية.

-الوقوف على خصائص السيرة النبوية.

-إبراز الأهمية التربوية والاجتماعية والحضارية للسيرة النبوية.

أسئلة البحث وخطته:

إذا كانت السيرة النبوية العطرة تمثل منهاج الحياة في كل جوانبها، فما هي خصائصها التي تؤكد خلودها وعطاءها اللامحدود، وصلاحها لكل الأزمان والأجيال؟

وما هي أهميتها في الحياة الإنسانية؟

وكيف يمكن للأجيال أن تستفيد منها؟

هذا ما سيجيب عنه هذا البحث من خلال فرعين رئيسين:

الأول سأخصصه لمفهوم السيرة النبوية وخصائصها.

والثاني سأتحدث فيه عن أهمية السيرة النبوية.

الفرع الأول: في تعريف السيرة النبوية وخصائصها

أولا-مفهوم السيرة النبوية:

تعني السيرة في اللغة: السُّنَّة والطَّريقة والهيئة والهدي والمنهاج وأحاديث الأوائل (التاريخ)، والإمامة في الخير، والحالة التي يكون عليها الإنسان؛ أي حكاية خطوط سير الإنسان من مولده إلى وفاته.

وبهذا يكون معنى السيرة النبوية في اللغة: ما أضيف إلى النبي ﷺ من السنة والطريقة والهيئة والحالة والمنهاج...

أما في الاصطلاح: فقد جاء في تعريف العلامة أبو الحسن علي اليوسي بأن موضوعها أحوال النبي ﷺ وأصحابه، وما عرض له منذ ولادته إلى أن توفاه الله تعالى..[2].

وعرفها الدكتور بنعُمر الخصاصي بقوله: " كل خبر متعلق برسول الله ﷺ، مرتبط بزمن أو حادثة؛ أو دال على عادة له مطلقة أو مقيدة. أو متعلق بأحوال زمنه المفيدة في بيان أحواله ﷺ"[3].

وعرفتها بالقول: (**السيرة النبوية هي: جماع أحوال النبي ﷺ وأمورِه اليومية، وما يتعلق به؛ من قَبلِ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولادته، إلى نشأته وشبابه ونزول الوحي عليه، ودعوتِه وتزكيتِه وجهادِه، وسياستِه الداخلية والخارجية، وصفاتِه الخُلقية والخَلقية وخصائصِه ودلائلِ نبوته وفضائلِه في الدنيا والآخرة، ومنهاجِه في الحياة إلى وفاته ﷺ).

وهنا من الأهمية بمكان القول: إن مباحث السيرة النبوية الشريفة تشتمل على خمسة عناصر:

الأول: السيرة الذاتية: وهي ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم من نسب وولادة، ونشأة، وزواج، وخدَم، ومتاع...

الثاني: النبوة والرسالة: وهو ما يتعلق بالوحي، والدعوة، ومواقف الناس منها.

الثالث: الغزوات والبعوث والسرايا.

الرابع: الشمائل: وهي الآداب والأخلاق.

الخامس: الخصائص: وهي ما امتاز به ﷺ عن بقية الخلق[4].

وهنا من الأهمية بمكان القول: إن علم السيرة النبوية علم مستقبل بذاته، لا يلتبس بغيره من العلوم، لكن يتكامل ويتداخل معرفيا مع جملة من العلوم الإسلامية (كعلوم الحديث والتاريخ وغيرهما)، كما أن هذا العلم السيري الشريف يستمد من علوم كثيرة.

أضف إلى هذا أن السيرة النبوية أوسع دائرة من أن تكون واقعة بتمامها داخل علم الحديث الشريف بتمامه؛ لأنها تشتمل على كل ما له تعلق بسيدنا رسول الله ﷺ في أحواله وتصرفاته، وأقواله وأفعاله، وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، من يوم مولده إلى التحاقه بالرفيق الأعلى..

ثانيا: خصائص السيرة النبوية:

تتميز السيرة النبوية العطرة بخصائص كثيرة، أهمها:

1- السيرة النبوية سيرة ربانية قرآنية:

تعتبر السيرة النبوية التفسير التطبيقي للقرآن الكريم، لقول أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق -رضي الله عنهما- لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كان خلقه القرآن...»[5]. أي: مهما أمره به القرآن امتثله، ومهما نهاه عنه تركه.

كما أن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساس للسيرة النبوية لذلك فهي ربانية المصدر لقوله تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15].

والسيرة النبوية ربانية الوجهة لقوله جلا وعلا: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: 108].

والسيرة النبوية ربانية الغاية: لقوله تعالى: ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه﴾ [الأنفال:39]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ(162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المسْلِمِينَ(163)﴾[الأنعام].

كما تتجلى ربانيتها في العناية الإلهية بالنبي ﷺ في سيره وحركته، وعمله ودعوته، فصنع سيرته على عينه وعنايته.

وخصيصة الربانية تعطي السيرة العطرة قيمة الخلود والعطاء لكل الأزمان والأجيال.

2-الصحة والثبوت:

إنها أصح سيرة لنبي مرسل من لدن رب العالمين؛ فسيرة الأنبياء والرسل السابقين كلها تعرضت للتحريف -إلا بعض ما وصلنا عن طريق القرآن والسنة- أما سيرة سيدنا رسول الله ﷺ فقد وصلت إلينا مجملة في القرآن الكريم ومفصلة في الأحاديث الصحيحة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمتواترة، فلم تتعرض السيرة النبوية للتحريف والتزييف..

قال الإمام ابن حزم الأندلسي-رحمه الله- في ميزة اتصال السند عند أمة الإسلام من أصغر راو إلى سيد الوجود ﷺ: "ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي ﷺ، يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان، على أن أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف إما إلى رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة ﷺ، وإما إلى الصاحب وإما إلى التابع وإما إلى إمام أخذ عن التابع يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن والحمد لله رب العالمين، وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وبناه عندهم غضا جديدا على قديم الدهور. إلا أن اليهود لا يمكنهم أن يبلغوا في ذلك إلى صاحب نبي أصلًا، ولا إلى تابع له، وأعلى من يقف عنده النصارى شمعون ثم بولس ثم أساقفهم عصرًا عصرًا، هذا أمر لا يقدر أحد منهم على إنكاره ولا إنكار شيء منه، إلا أن يدعي أحد منهم كذبًا عند من يطمع في تجويزه عليه ممن يظن به جهلًا بما عنده فقط، وأما إذا قررهم على ذلك من يدرون أنه يعرف كتبهم فلا سبيل لهم إلى إنكاره أصلًا.. أما اليهود فلا يقربون في سندهم من موسى عليه السلام كقربنا فيه من مُحَمَّد ﷺ، بل يقفون ولا بد حيث بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرا في أزيد من ألف وخمسمائة عام وإنما يبلغون بالنقل إلى هلال وشماني وشمعون ومرعقيبا وأمثالهم»[6].

ومن ثم تميزت السيرة النبوية الشريفة بهذه الخصيصة الفريدة، وهي الصحة والثبوت، أي: اعتماد رواتها على الرواية المسندة المتصلة الحلقات إلى سيدنا رسول الله ﷺ عن طريق الأئمة الثقات الأثبات الذين سمعوا من رسول الله ﷺ وصحبوه وعايشوا أحداث سيرته، ثم التابعين الذين صحبوا من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه وشاهد تقريراته وأفعاله... وهكذا تواصلت الحلقات وارتبط بعضها ببعض إلى يومنا هذا.

فتماسكت حلقات الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راو عن راو عبر العصور في سلسلة متصلة الحلقات لا انقطاع لها..

هذا علاوة على أن سيرة رسول الله ﷺ توفر لها من الحفظ والصون ما لم يتهيأ لبشر من قبله ولن يتوفر لكائن من كان من بعده ﷺ؛ فقد حفظها لنا القرآن الكريم في آيات قرآنية كثيرة، كما اعتنى علماء الأمة بتدوين رواياتها وحفظها منذ عهد النبوة.. مما يضفي عليها التكامل في التسجيل، والثقة في الرواية، والصدق والأمانة في النقل، هذا فضلا عن تمحيص أخبارها كما محص الحديث، والتثبت من الرواة، ومعرفة الصحيح منها والحسن والضعيف والمتروك؛ فأصبحت أصح سيرة نقلت إلينا عن رسول أو نبي أو عظيم.

وفضلا عن ذلك وضمانا لثبوتها وصحتها اعتمد علماء الحديث والسير على قواعد علمية دقيقة لضبط مروياتها وأخبارها، واعتنوا بتدوينها منذ وقت مبكر جدا.

وقد بلغ التوثيق في سيرة سيدنا رسول الله ﷺ ذروته، فكتبت سنته وسيرته ﷺ بأوثق الأسانيد وأكثرها بعد القرآن الكريم، فهو النبي الوحيد، بل الإنسان الوحيد الذي حُفظت سيرته وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته في اليقظة والمنام بهذا الشكل، فلم يهتم أحد بحفظ سيرة أحد على الأرض على مر التاريخ على هذا النحو، واهتم المسلمون بنقل كل شيء عن رسول الله ﷺ، وأنشأوا العلوم لحفظ سيرته وسنته ﷺ، ولقد بدأ هذا في الصدر الأول للإسلام،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فابن عباس ـ ﷺ ـ يتحرى الليلة التي يأتي فيها النبي ﷺ إلى خالته ميمونة ـ إحدى زوجاته ﷺ ـ ويبيت عند خالته حتى يراقب النبي ﷺ في أكله ونومه وعبادته، ويتمثل به كما روى ذلك مسلم في صحيحه وغيره.

فكان في حفظ سيرته وأخباره في كتب الصحاح والسنة والسيرة دليل واقعي تاريخي آخر على خصوصية وفضل ذلك النبي، فليس هناك تسجيل تاريخي محفوظ لنا بسند متصل إلى أحد الأنبياء إلا له صلى الله عليه وسلم[7]..

3-الشمولية والوضوح:

تمتاز السيرة النبوية العطرة بالشمولية؛ فهي شاملة لجميع نواحي الحياة الإنسانية -التربوية والدعوية والأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية...- والمجالات الدينية والدنيوية..

كما تتميز بالوضوح؛ فسيرته ﷺ واضحة وضوح الشمس في عليائها؛ عرفنا حياته بكل تفاصيلها، فلا عيب فيها ولا نقصان ولا ضعف ولا خلل، حتى ألد أعدائه لم يستطيعوا أن يتهموه في أخلاقه أو عرضه...

فقد عرفنا حياته ﷺ حتى في أدق تفاصيلها؛ فقد سمح ﷺ لأزواجه ﷺ أن ينقلن عنه علاقته معهن داخل بيته ومعاملته لهن وحسن عشرته لهن؛ فبلغن عنه كل ما رأينه منه، حتى إن إحدى زوجاته لتبلغ عنه ما كان تحت اللحاف فيما بينه وبينها، وعن غسلها معه من الجنابة... حتى مداعبته لهن...

يقول الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ يحكي لنا سيرة الحبيب المصطفى ﷺ مع أزواجه — ﷺ-: "وكانت سيرته ﷺ مع أزواجه حسن المعاشرة، وحسن الخلق. وكان يسرب إلى عائشة ﷺ بنات الأنصار يلعبن معها. وكان إذا هويت شيئا لا محذور فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه موضع فمها وشرب، وكان إذا لعقت عرقا —وهو العظم الذي عليه لحم- أخذه فوضع فمه في موضع فمها، وكان يتكئ في حجرها، ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها، وربما كانت حائضا، وكان يأمرها وهي حائض فتتزر ثم يباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله أنه يمكنها من اللعب، ويريها الحبشة وهم يلعبون في مسجده، وهي متكئة على منكبيه تنظر، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة..."[8].

فهذه التفاصيل لا نجده حتى في سير العظماء؛ لأنهم لا يريدون لعلاقاتهم الزوجية داخل البيت أن تفشى بل تعتبر حياتهم الخاصة سرًا من الأسرار يعاقب على إفشائها، وكل الناس كذلك لا يرضون بإفشاء أسرار حياتهم الزوجية، ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسيرة واضحة وشاملة لكل مجالات الحياة، بل حتى في أخص مسائل الحياة الأسرية.

4-الكمال:

إن سيرته الغراء ﷺ كاملة محيطة بأطوار الحياة، ومناحيها، وجميع شؤونها، وسائر أحوالها وتصرفاتها، متصلة حلقاتها.

فشؤون شخصيته ﷺ العظيمة ظاهرة باهرة أمام أعين الناس مثل ضوء النهار، فقد عرفنا كل تفاصيله حياته ونسبه وتاريخ بلده وأجداده قبل ميلاده ﷺ، وعرفنا حياة صباه وطفولته وشبابه، وبعثته وسائر أحواله الشريفة مع أزواجه وأبنائه، وأصحابه والمؤمنين به، ومع أعدائه والمسيئين إليه..

يقول الشيخ سعيد حوى -رحمه الله-: "السيرة النبوية -في الأصل- هي الكتاب والسنة، إنك لا تعرف رسول الله ﷺ إلا إذا عرفت الكتاب الذي أنزل عليه، وعرفت مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتلك هي سنته. لقد كان خُلق رسول الله ﷺ القرآن، ولقد كان القرآن نفسه سجلاً لأهم الأحداث في حياته ﷺ فمن هنا قلنا إن القرآن سيرته، وإن أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته هي سيرته...وبهذا المعنى نقول: إن السيرة النبوية تَسَع الزمان والمكان والأشخاص، فهي منهج متكامل متجدد، فما من وَضْعٍ للإنسان وللناس وللمكلفين، إلا والسيرة النبوية تسعه قدوة وعملًا، ملاحظًا في ذلك أحوال الناس جميعًا... "[9].

ومن ثم فإن سيرته ﷺ الغراء تقدم صورة كاملة عن شخصه العظيم ﷺ نبيا ورسولًا، قائدًا ووالدًا، وعابدًا ومجاهدًا، زوجًا وداعيا، معلمًا ومربيا... كل هذا في سياق أحداث يومه في صباحه ومسائه، ويومه ويقظته، وسلمه وحربه.. بعدد أيامه الشريفة وأحواله المنيفة.

فلا خلل ولا نقص ولا عيب في سيرته العطرة، وأخلاقه الحسنة..كمال في كمال، وبهاء وجمال...

وأستعرض لكم فهرسة أشهر كتاب في الشمائل النبوية للإمام الترمذي-رحمه الله-؛ لتعلموا كيف ضبط المسلمون أحوال النبي ﷺ، وأحصوا أخباره جليلها ودقيقها، كثيرها وقليلها: (1) باب ما جاء في حلية النبيّ ﷺ، (2) في ذكر شعره، (3) في ترجّله، (4) شيبه، (5) خضابه، (6) كحله، (7) لباسه، (8) عيشه، (9) خفّه، (10) نعله، (11) خاتمه، (12) صفة سيفه، (13) درعه، (14) مغفره، (15) عمامته، (16) إزاره، (17) مشيته، (18) تقنّعه، (19) جلسته، (20) فرشه ووسادته، (21) ما جاء في اتكائه، (22) صفة أكله، (23) خبزه، (24) إدامه، (25) وضوءه، (26) ما يقوله قبل الطعام وبعده، (27) قدحه، (28) فاكهته، (29) شرابه، (30) صفة شربه، (31) تعطره وتطيبه، (32) كيف كان كلامه، (33) إنشاده الشعر، (34) مسامرته وقصصه، (35) نومه، (36) عبادته، (37) ضحكه وتبسمه، (38) مزاحه، (39) عبادته بعد طلوع الشمس، (40) تطوعه في بيته، (41) صومه، (42) تلاوة القرآن، (43) بكاؤه وخشوعه، (44) فراشه، (45) تواضعه، (46) أخلاقه، (47) أسماؤه الكريمة، (48) معاشرته، (49) سنه، (50) وفاته، (51) ميراثه، (52) حجامته.

ذلك ممّا يتعلق بنفسه الشريفة، وشخصه الكريم ﷺ، وهنالك أحاديث عن كلّ طور من أطوار حياته، وناحية من نواحيها، كلّ ذلك في وضوح وجلاء، بحيث لم يبق شيء من حياته مخفيا أمره، مكتوما سرّه، فإذا دخل بيته؛ فهو بين أهله، وعياله، وأولاده، وإن خرج منه؛ فهو بين أصحابه، ورفقائه، وكلّ ذلك محفوظ، مذكور، مشهور[10].

5-سيرة واقعية وعملية:

إن السيرة النبوية الشريفة تحكي تفاصيل حياة نبي اصطفاه الله تعالى وأكرمه بالنبوة والرسالة والوحي، سيرة الإنسان الكامل، فهي سيرة واقعية عملية، وتتجلى واقعيتها في إمكانية تنزيلها في الواقع بلا تكلف ولا مشقة، ودون إغراق في المثالية التي تقعد الناس عن الامتثال، ذلك بأن النبي ﷺ لم يأمر بشيء إلا وكان أول من يفعله ويعمل به، فكان أكثر الخلق التزاما بالتكليفات والأخلاق والأحكام التي يدعو إليها، وكان أصدق الناس عملا بما يدعو إليه.. ومثاله أنه عندما دعا إلى الصدق والأمانة فقد حرف بهذين الخلقين العظيمين قبل بعثته الغراء ﷺ، وعندما دعا إلى الزهد في الدنيا فقد كان أزهد الناس، وعندما حث على التواضع فقد كان سيد المتواضعين، وعندما دعا إلى حسن الخلق فقد مدحه ربه بهذا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: 4]. وغير ذلك..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا فكلّ ما دعا إليه ﷺ بلسانه الشريف الزكي قد حقّقه بسيرته الطاهرة الخالدة، وعمل به في حياته الشخصية والأسرية والاجتماعية، فأصبحت أعماله مثلا عليا للناس يأتسون بها.

أضف إلى كل هذا أنه استطاع ﷺ أن يربي جيلا قرآنيا خالدا، ويصنع إنسانا صالحا، مما يؤكد واقعية سيرته الغراء..

وهذه الخصيصة تجعل سيرته ﷺ معلومة على حقيقتها في كلّ زمان ومكان إلى يوم القيامة؛ ليتيسّر التأسّي بها لجميع أمم الأرض..

6-الوسطية والتيسير:

تعتبر السيرة النبوية العطرة، منهاج التيسير والوسطية ورفع الحرج عن الأمة، ونبذ التطرف والتعصب والغلو والتنطع. فقد كان سيدنا رسول الله ﷺ لا يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما وأوسطهما ما لم يكن إثمًا؛ لكونه أسوة وقدوة لأمته عامة، وللدعاة خاصة، ليحملوا الناس على اليُسر، ولا يشق عليهم، فالشخص في خاصة نفسه يحملها على الورع والاحتياط، أمَّا إلزام الناس بذلك فلا.

ودين الإسلام عموماً جاء بالوسطية واليسر.. لقوله تبارك وتعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143] . والوسطية في السيرة النبوية امتداد لما للوسطية من مكانة في القرآن الكريم.

لقد بلغت السيرة النبوية من الكمال البشري في الآداب والأخلاق وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ومدحه بأخلاقه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، فقد كان خير البرية وأشرف الكائنات ﷺ أكثر الناس توازنا واعتدالا ووسطية وتيسيرا، وأبعدهم عن مسالك الغلو والتطرف والتنطع، بل كان ﷺ يجانب الغلو والتطرف وينهى أصحابه عن ذلك. كيف لا وقد تخلق ﷺ بأخلاق القرآن، وكان قرآنا يمشي بين الناس ونورا مبينا يضيء الكون كله بأخلاقه وقيمه ومحاسن خصاله.

بل كانت سيرته ﷺ الغراء منهاجا معتدلا لا يفرط في حقيقة من الحقائق، فليس فيه تفريط اليهود ولا إفراط النصارى؛ فلم يكن ﷺ بالشديد المتكبر، ولا بالمتساهل في أمر الله المتصاغر، هذا إضافة إلى ما اتسم به ذلك المنهاج من التيسير ورفع الحرج، ومراعاة مآلات الأمور.

7-الاقتداء:

إن من خصائص السيرة النبوية العطرة أنها أنموذجا للاقتداء والتأسي؛ ذلك بأن الله تبارك وتعالى وضع في شخصه ﷺ العظيم الصورة الكاملة للمنهاج الإسلامي، والصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ.. رجل سياسة يشيد أمة من الفتات المتناثرة، فإذا هي بناء ضخم لا يطاوله شيء في التاريخ ويمنح هذا البناء من وقته وفكره وجهده ما يشغل وجود حياة كاملة، ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش ويحارب وينتصر كقائد متخصص كل همه القتال، متفرغا له.. وأب وزوج ورب أسرة كبيرة.. وصديق وقريب وصاحب للناس تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم، ويوقدهم ويزورهم ويمنحهم من مودته وعطفه ما يشغل رجلا إنساني القلب، يهب حياته كلها لشئون الناس.. وعابد متحنث لربه مرجل منقطع للعبادة، متخصص لأدائها لا تصله بالأرض رابطة ولا يشغله هم من الهموم ولا تجيش في نفسه نوازع ولا تتحرك في نفسه رغبات[11].

ومن ثم فإن سيرته ﷺ هي المثل الأعلى للمسلمين والناس جميعا.. لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

8–العالمية:

إن من خصائص سيرته الغراء ﷺ العالمية، ذلك بأن الله تبارك وتعالى أرسَل نبيه محمدًا ﷺ بالإسلام ليكون خاتمة الرسالات إلى الناس جميعًا، في سائر الأعصار والأمصار وإلى أن تقوم الساعة؛ حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107]. وقال جل شأنه: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158]. وقال عز وجل: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: 1]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: 28].

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «وكان النبيُّ يُبعَث إلى قومه خاصة وبُعثتُ إلى الناس كافةً، وأُعطيتُ الشفاعةَ»[12].

فسيرته ﷺ الخالدة متاحة لجميع الناس لينهلوا من معينها، ويستضيئوا بنورها، ويستهدوا بهداياتها؛ فتقوم سلوكهم، وتعدل اتجاههم، وتأخذ بأيدهم من الظلمات إلى النور.

فسيرته الخالدة هي المنهاج الذي ارتضاه الله لجميع الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. ويمكن تطبيق مبادئه في كل زمان ومكان.. لقوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[الفرقان: 1].

9–الإيجابية:

المقصود بهذه الخصيصة أن السيرة النبوية فيها الخير والفلاح لجميع الناس بل للكون بأسره، فهداياتها تفيد المسلمين وغير المسلمين، فهي تنشر الإيجابية بين الناس، من خلال ما تدعو إليه –قولا وعملا– من قيم وأخلاق وفضائل، وما تؤسس له من علاقات إيجابية بين الناس جميعا، قائمة على التواصل والتعاون والتعارف والتراحم...

عنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرَاحَمُوا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا رَحِيمٌ. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبَهُ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ الْعَامَّةِ»[13]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[14].

وتأسيسا عليه؛ فتمثل السيرة الخالدة في جميع مراحلها وتفاصيلها وجزئياتها وجوانبها مثلاً رائعًا في الإيجابية؛ ذلك بأن الناظر فيها يرى الإيجابية واضحة في كل معانيها، من يوم أن كان ﷺ غلامًا يتيمًا إلى حين التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى.. كما ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على معاني الإيجابية الفاعلة، وكان ﷺ يقول لهم: «بادروا بالأعمال الصالحة». ويقول: «اغتنم خمسًا قبل خمس». ويقول: «استعن بالله ولا تعجز»، ويقول أيضا: « إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةٌ فإنِ استَطاعَ أن لا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها».

هكذا دعا ﷺ إلى الإيجابية قولا وعملا.. مما يجعلها خصيصة فريدة من خصائص سيرته الخالدة.

***

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. الفرع الثاني: أهمية السيرة النبوية

إن حاجةَ الأمةِ إلى السيرة النبوية كبيرة، لأنها المنطلقُ الواسعُ للتغيير والإصلاح، والتربية والدعوة، والعلم والعمل، والنهوضِ الحضاري، فهي من أولى ما يجب على المسلم أن يهتمَّ به ويعرفَه، إذ بمعرفتها نعرفُ قدرَ هذا النبي العظيم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

والسيرة العطرة من أهم ما اهتم به الأئمة الأعلام، والمشايخ الموفقون الكرام، ولم تُعمر مجالس الخيرِ بعد كتاب الله تعالى بأحسنَ من سيرةِ سيدنا رسول الله ﷺ، ودراستِها، واستنطاق فصولها، لاستنباطِ فوائدها ومعانيها وقيمها.

إن السيرة النبوية الشّريفة هي التي أقامت صرحَ هذا الدينِ- الذي أنزله الله تعالى، وحيا أمينا صادقا على رسوله سيدنا محمدٍ بنِ عبدِ الله ﷺ- وبه أتمّ نعمتَه على خلقه، فأكملَ به الدينَ، وأكمل له الدين.

وقد رسمت السيرة النبويةُّ تعاليمَ الإسلام في الواقع: سلوكا وتعاملا، وعلما وعملا، ودعوة ودولة، وتزكية وحركةً، على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة. وهي تمثل بفصولها قصةَ الهدايةِ الإنسانية والسعادةِ في الدارين، وقصةَ الإنسانِ المثال، والعمرانِ الإنساني الأخوي المشترك.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "نعْلَمُ اضْطِرَارَ الْعِبَادِ فَوْقَ كُلّ ضَرُورَةٍ إلَى مَعْرِفَةِ الرّسُولِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، فَإِنّهُ لَا سَبِيلَ إلَى السّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إلّا في طاعته واتباع أمره ونهيه، فسَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدّارَيْنِ مُعَلّقَةٌ بِهَدْيِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَيَجِبُ عَلَى كُلّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَحَبّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَالنّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلّ وَمُسْتَكْثِرٍ وَمَحْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاَللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" [15].

وتأسيسا على ما تقدم فإن أهمية السيرة النبوية العطرة تتجلى في جوانبَ كثيرة ، كما سيتم بيانه في الفقرات الآتية:

-إن السيرة النبوية العطرة تعيننا على فهم كتاب الله تعالى ومقاصده، وفهمِ الدين عقيدة وعبادة وقيما وأخلاقا وسننا، وهي الميزانُ الذي نعرف به العملَ الصالحَ من غيره، والخيرَ من الشر، والفضيلة من الرذيلة، والمصلحة من المفسدة، والحق من الباطل.

فلن نفهم القرآنَ الكريم على نحو دقيق حتى نعرف السيرةَ النبوية، ولن نستوعب أحداثَ السيرة إلا في ظلال القرآن الكريم، ولن نُحسن فهمَ كثير من الأحاديث النبوية الشريفة حتى نرجعَ للقرآن والسيرة معا.

يقول الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله-: "إن سيرته ﷺ الينبوع الصافي لطالب الفقه، والدليل الهادي لباغي الصلاح، والمثل الأعلى للأسلوب البليغ، والدستور الشامل لكل شُعب الخير" [16].

ويقول الدكتور مُحَمَّد أبو شهبة -رحمه الله-: "إن خير ما يتدارسه المسلمون، ولا سيما الناشئون والمتعلمون، ويُعنى به الباحثون والكاتبون، دراسة السيرة المحمدية، إذ هي خير معلم ومثقف، ومهذب ومؤدب، وآصَلُ مدرسة تَخَرّج فيها الرعيل الأول من المسلمين والمسلمات الذين قلما تجود الدنيا بأمثالهم، ففيها ما ينشده المسلم، وطالب الكمال من دين ودنيا، وإيمان واعتقاد، وعلم وعمل، وآداب وأخلاق، وسياسة وكياسة، وإمامة وقيادة، وعدل ورحمة، وبطولة وكفاح،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجهاد واستشهاد، في سبيل العقيدة والشريعة والمثل الإنسانية الرفيعة، والقيم الخلقية الفاضلة"[17].

من هذا المنطلق، اعتبرت السيرة النبوية مفتاحا لنهضة الأمة الإسلامية وتقدمها، وسراجا يهتدي به الباحثون والدارسون في مجالات العلوم المتنوعة، ومعراجا يرتقي من خلاله العلماء والمفكرون إلى أعلى آفاق المعرفة الدينية الربانية، والمعرفة الدنيوية الحضارية.

-السيرة الغراء باب من أبواب السعادة وزيادة الإيمان، وتعميقِ المحبة، وتحقيق الأدب مع الجناب النبوي الشريف.. يقول العلامة أبو الحسن الندوي- رحمه الله-: "إن السيرة النبوية وسير الصحابة وتاريخهم ﷺ من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية، التي لا تزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شعلة الإيمان وتشتعل بها مجامر القلوب، التي يسرع انطفاؤها وخمودها في مهب الرياح والعواصف المادية، والتي إذا انطفأت فقدت هذه الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها، وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها"[18].

وفضلا عن ذلك فإنَّ السِّيرة النَّبويَّة تُعطي كلَّ جيلٍ ما يفيده في مسيرة الحياة، وهي صالحةٌ لكلِّ زمانٍ، ومكانٍ، ومُصلحةٌ كذلك. وهي أنموذجٌ لهذا الدين الذي اكتمل تنزيلا، بكل شمول وكمال وجمال، لكافة الأعمار والمراحل والأشخاص، نساء ورجالا وأطفالا، أفرادا وأسرا وجماعات، ومجتمعا ودولة، في السلم والحرب وفي كل صغيرة وكبيرة.

حيث يجد الإنسانُ بين يديه صورةً للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة، كي يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه، ولا ريب أن الإنسان مهما بحث عن مَثَل أعلى في ناحية من نواحي الحياة فإنه سيجد كلَّ ذلك في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعظم ما يكونُ من الوضوح والكمال، والعلم والعمل. ولذا جعله الله قدوةً للإنسانية كلِّها إلى يوم القيامة إذ قال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب 33/ 21] .

-إن السيرة النبوية لبُّ الإسلام، وهي تجسيدٌ حيّ لجميع تعاليم الإسلام وأخلاقه كما أرادها الله تعالى أن تُطبَّقَ في عالم الشهادة؛ فتعاليمُ الإسلام لم تُنزل لتُحْصَرَ بين جدُر المساجد وداخل معاهد العلم الشَّرعيّ ومدارسه وكليَّاته، وإنما نزلت لتَصنع الحياةَ في كافة جوانبها في سبيل الله تعالى، وعلى منهاج الله، وهي تطبيقٌ عملي للوحي القرآني الذي يُقتدى به، حيث قدمت الوحيَ في شكْلٍ تطبيقي وواقعٍ عملي، موضَّحًا بالشرح والبيان والتفصيل، وبالسلوك والتمثيل، في كلِّ ما يهم الإنسانَ في الدنيا والآخرة. وهي منهاجٌ سليم واضح يُهتدى بهداه، وصراطٌ مستقيم يُسلك ويُتَّبع ، فلا يستغني عن النظر فيها عالم أو متعلم، فهي دوحةٌ عظيمة فيها كلُّ الثمار اليانعة، كلٌّ يقطف منها ما يناسبه، وكيف لا تكون كذلك وهي ربانيةُ المصدر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ [النساء:170] .

يقول شيخ الدعاة مُحَمَّد الغزالي - رحمه الله-: "إنها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها -المسلم- ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين بها... إن المسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يغني عنه أبدا أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة"[19].

وتأسيسا عليه، فإنَّ السِّيرة النَّبويَّة الشريفة غنيَّةٌ في كلِّ جوانب الحياة المختلفة التي تحتاج إليها الأمةُ في مسيرتها، فسيدُنا رسولُ الله ﷺ لم يلتحق بالرَّفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل اللهُ له الدين، واكتمل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنهاج، ليجد فيه المسلمون القدوةَ الكاملةَ والأسوةَ الحسنة في كل الأزمنة والعصور، وكلِّ شؤون الحياة، ويجدون في منهاجه ما يواجهون به الأزمات والشدائد، وما يحققون به الرقيَ والأمنَ والاستقرارَ في نفوسهم وأسرهم ومجتمعاتهم، وما يسعدون به في دنياهم وآخرتهم.

ذلك بأن السيرة النبوية العطرة جاءت لتكون سلوكًا إنسانيًّا ومنهاجًا حياتيًّا يعيشها الفردُ المسلم في نفسه وشخصه، وأسرته ومجتمعه، وعلاقاته الفردية والجماعية، والعمودية والأفقية، ويدركها في واقعه الأسري والاجتماعي؛ فتصبحَ جزءًا لا يتجزَّأُ من كِيانه، يَضبِط سلوكه على منهاجها، ويسير في نورها وهداها..

ومن ثم فهي ليست مجرَّدَ حوادثَ تاريخيَّة تؤخَذُ منها العبر والعظات فحسب؛ وإنَّما هي فوق هذا كلِّه؛ إنَّها منهاجٌ معياريٌّ غيرُ خاضع لحدود الزَّمان والمكان؛ بل تقاس إليه الأعمالُ والمواقف، وتُعايَر عليه الاجتهادات والآراء، وتُوزن بميزانه الحقِّ.

وعلاوة على ما تقدم فإن السيرة الخالدة بكل أبعادها، وما وقع فيها، تشكل سفرا مفتوحًا لكل متعلم وعالم ومفكر وباحث وسياسي واجتماعي واقتصادي في كل زمان ومكان، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهي ليست حكرا على إنسان أو جماعة أو زمان أو مكان بعينه، كما أنها-ومن سماتها الخلود واستمرارية العطاء- لا تُختزل بفهم أو رؤية أو تفسير أو تحليل أو موقف أو اجتهاد، مهما بلغ، فلكلٍ قراءته ونظرته واجتهاده ومشكلاته، ولكل عصر متغيراته، ولكل بيئة حاجاتها، ولكل مجتمع عمره الحضاري والثقافي وأسئلته، فهي معين لا يتوقف لمن يريد التبحر في علوم الشريعة، وهي عطاءٌ مفتوح لكل زمان ومكان في كل مجالات الحياة..

ذلك بأن السيرة النبوية المطهَّرة تُقدِّم للبشريَّة منهاجًا شاملًا راقيًا تتعامل به في كلِّ جوانب حياتها؛ لتَنال السيادة والتكريم في الدنيا، والسعادة الأبدية السرمدية في الآخرة؛ لأنه ليس منهاجًا يَعتمِد على نظرياتٍ بشريَّة، أو قوانينَ أرضية، أو مبادئَ وضعيَّة؛ إنه منهاج رباني قد حاز مقامَ العِصمةِ والكمال في مصدره ومرجعيَّته، وتطبيقاته وتنزيلاته.

وبذلك فالمسلمون يجدون في السيرة الشريفة في كل الظروف ما يَرْتَؤونَ منه وينظرون فيه، علاجًا وغذاءً وشفاءً وعروجًا روحيا وارتقاءً عمرانيا حضاريا؛ لأنها صورةُ هذا الدين، ووحي الله المنزَّل على رسوله الكريم ﷺ قرآنًا عمليًّا في واقع الحياة، وتلك إرادةُ الله وحكمتُه وسنته المطردة.

-إن الله تبارك وتعالى وضع بسيرة خير الأنام صلى الله عليه وسلم منهاجَ الوصول إلى بناء العمران الإنساني والتمكين في الأرض، وتحقيقِ مهمة الاستخلاف الحضاري البشري، وإقامةِ المجتمع الفاضل والحياة الإنسانية الطيبة الكريمة على نور هدايات الوحي الأعلى، ودعا إلى اتباعه على نور وبصيرة، من أجل بناء الشخصية المسلمة، وتحقيق الوقاية الحضارية والثقافية، وإعادة بناء الوعي وتحصين الفكر، وامتلاك القدرة على تجاوز واقع الأزمة واستئناف الدورة الحضارية من جديد.

ذلك بأن سيرته ﷺ قد تشكلت وفق أحداث ومواقف نورانية، تجلت من خلالها أهمية الأخذ بأسباب النصر والتمكين وفقًا لِمُراد الله لتحقيق الحضارة الإنسانيَّة على الأرض، وهي توضح كيف يندمج القرآن والإنسان في كيانٌ واحد متمثّل في شخصِ رسول الله ﷺ، وكيف كانت سيرته الشريفة تَّرجمة حيَّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لما اشتملَ عليه القرآنُ الكريم من تَعاليمَ وأخلاق وأحكام.

من أجل ذلك فإننا في أمس الحاجة لمعرفة المنهاج النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، ومعرفة سنن الله في الشعوب والأمم والدول، وكيف تعامل معها النبي ﷺ عندما انطلق بدعوة الله في دنيا الناس حتى نلتمس من هديه ﷺ الطريق الصحيح لأداء الأمانة التي على عاتقنا حتى نحقق التمكين لديننا من خلال قيمنا وأخلاقنا، ونقيم بنيان عمراننا الإنساني الإسلامي على منهاج سليم مستمد أصوله وفروعه من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

لذلك أضحى الوعي السيري واجبا على كل العلماء والقادة والحكام، إذ به يعرف الطريق إلى تحقيق العزة للإسلام والمسلمين، ومن خلاله تتعلم كل فنون الإدارة وأساليب القيادة، وبه تدرك أهمية التخطيط للواقع والمستقبل، وكيفية مواجه القوى، ومناهج التغلب عليها بكل حكمة وتبصر.

وفضلا عن ذلك فإن السيرة النبوية العطرة هي المحضن الذي تكونت فيه أجنةُ المجتمع ونمت وأثمرت وقدمت نماذجَ حضارية إنسانية لا يستطيع الزمنُ أن يتجاوزَها. فالسيرة حاضنةُ الأمة الأولى، وحاضنةُ الإنسان في أولى مراحل إسلامه، وحاضنة المجتمع في أُولى مراحل تشكله، وحاضنةُ الأمةِ في الخَطَوات الأولى لمراحل إخراجها كخير أمة أخرجت للناس: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:110).

إن سيرته ﷺ الطيبةَ الجامعة هي الأسوةُ الحسنة، والمنهاجُ الأعلى للحياة الإنسانيّة في جميع أطوارها؛ لأنها مِلَاكُ الأخلاق وجِماع القيم والمعاني؛ وهي بحرٌ لجيّ انصبت فيه جميع الأنهار واتصلت بها جميعُ البحار من هدايات الأنبياء والرسل السابقين وشرائعِهم وقيمهم...

فهداياتها نور للمستنير، ونبراس للمستهدي، وملجأ لكل مسترشد، ورحمةٌ للخلق كافة.

من أجل ذلك فإن دراسةَ السيرةِ الخالدة لتعرف الميلاد الأول للإنسان والمجتمع والأمة والعمران هو المنطلق الأول، والخطوةُ الأولى على الطريق الطويل لإصلاح الإنسانِ وصناعة المجتمع الآمن، والعمرانِ الإنساني المشترك، وبناءِ الأمة الشاهدة على الأمم.

وحسب سيرة سيدنا رسول الله ﷺ أهمية أنها تسجل لنا أسس صناعة خير أمة أخرجت للناس، تتلاشى بينهم الأحساب والألقاب، وتندثر العصبيات والنزعات، وتتكافأ دماؤهم جميعا، ولا يكون لعربي فضل على عجمي إلا بما يعمر قلب من التقوى ومن سمات الإيمان.

ومن ثم فهي المنهاج الأمثل "لإعادة إخراج أمة الهداية، وإعادة بناء جيل الرحماء الأشداء من جديد؛ فالذين يريدون أن يصنعوا الرجال أو يعيدوا بناء المجتمعات لن يجدوا في غيرها بغيتهم، ولن يكون ثمة دليل أصدق ولا أهدى في التخطيط والتنفيذ أعظم من هذا الدليل"[20].

3. خاتمة:

وفي الختام إن السيرة النبوية الخالدة مسددة بالوحي في منطلقاتها ووجهتها وغاياتها، وثوابتها وأصولها وأبعادها، وفريدة في صحة مروياتها وثبوتها واتصال حلقاتها، وشاملة لجميع مجالات الحياة الإنسانية الدينية والدنيوية، تستقصي جميع قضايا الإنسان تنظيرا وتنزيلا، وتصورا وسلوكا.. وواضحة في كل مفرداتها وجزئياتها وتفاصيلها ومشاهدها، وكاملة لا نقص فيها، ووسطية لا إفراط فيها ولا تفريط، تراعي حالة الإنسان في كل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زمان ومكان.. وواقعية يمكن العمل بها وتنزيلها في واقع الناس عبر الأجيال، وعالمية ليس لعصر دون عصر، ولا لجيل دون آخر، بل تستهدف بصلاحها وخيرها وإيجابياتها كل العصور.

-إن السيرة النبوية الخالدة هي روح الإسلام وجوهرُه، والتنزيل العملي لأحكامه وأخلاقه وقيمه وسننه، وعقيدته وشريعته، والأسوة الحسنة للناس جميعا في الأسرة والمجتمع، في العبادات والمعاملات والأخلاق، والسياسات الداخلية والخارجية والعلاقات الدولية، والتعامل مع المسلمين وغير المسلمين، وفي سائر المجالات السلوكية والدعوية والاجتماعية والحضارية والعلمية وغير ذلك.. لذلك لا يمكن أن يستغني عنها المسلم، لأنها الموجه الحقيقي إلى الطريق السوي، والصراط المستقيم، والمنقذ من الضلالات، والمنطلق لبناء الحياة الطيبة والمجتمع الآمن والأمة الشاهدة بالقسط.

لذلك كانت السيرةُ الغراء من أولى الأوليات وأوجب الواجبات وأعظم الضروريات التي يجب أن تُصرف إليها العناية في هذا العصر.. لتجاوز الأزمة، والتخلصِ من الوهْن الحضاري، وتحقيقِ النهوض العمراني. وتحصيلِ السعادة الأبديّة والسيادة السرمدية، للفوز برضا ربّ العالمين.

والحمد لله رب العالمين.

4.المراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- الأدب المفرد، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط3: 1409هـ/ 1989م.

2- الأساس في السنة وفقهها: السيرة النبوية، سعيد حوّى(ت1409هـ)، دار السلام، ط3، 1416هـ/ 1995م.

3- حياة الصحابة، مُحَمَّد يوسف بن مُحَمَّد إلياس بن مُحَمَّد إسماعيل الكاندهلوي (ت1384هـ)، تحقيق: د بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط1، 1420هـ/ 1999م.

4- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سويلم أبو شُهبة (ت1403هـ)، دار القلم، دمشق، ط8، 1427هـ.

5- "السيرة النبوية في القرآن الكريم، دراسة وتحليل"، مُحَمَّد علي الحركان، دار الكتاب الإسلامي، ط1.

6- الرسالة المحمدية: محاضرات في السيرة النبوية، سليمان الندوي، دار القلم-دمشق، ط1: 1426هـ/2005م.

7- زاد المعاد في هدي خير العباد، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27: 1415هـ /1994م.

8- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: 256هـ)، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ.

9- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة.

11- فقه السيرة، مُحَمَّد الغزالي السقا (ت1416هـ)، دار القلم دمشق، تخريج الأحاديث: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، ط1، 1427هـ.

12- فهرسة اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1: 2009.

13- "من جهود العلماء في الاستنباط من السيرة النبوية: تصرفات الرسول ﷺ أنموذجا"، بنعمر الخصاصي، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية في موضوع: جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية، 7 – 9 محرم 1434هـ / 22 – 24 دجنبر 2012م، مؤسسة مبدع للدراسات المصطلحية، فاس المغرب.

14- منهج التربية الإسلامية، مُحَمَّد قطب، ط16، دار الشروق.

15- المسند، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط1: 1416هـ/1995م.

الهوامش:

(1) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد /505.

(2) أبو علي الحسن اليوسي، فهرسة اليوسي، ص22.

(3) من جهود العلماء في الاستنباط من السيرة النبوية: تصرفات الرسول ﷺ أنموذجا، بنعمر الخصاصي، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية: (جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية)، ص293.

(4) كشف الظنون، حاجي خليفة، 1012/2 الحاشية.

(5) – الأدب المفرد، البخاري، ص115.

(6) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، 68/2-69.

(7) –خصائص السيرة النبوية، علي جمعة، (الموقع الرسمي).

(8) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، 146/1.

(9) الأساس في السنة وفقهها: السيرة النبوية، سعيد حوّى، 95/1.

(10) –الرسالة المحمدية، سليمان الندوي، ص118 وما بعدها.

(11) منهج التربية الإسلامية، مُحَمَّد قطب، ط16، دار الشروق. 183/1.

(12) صحيح البخاري، كتاب التيمم، ح328. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، ح521.

(13) مجمع الزوائد، الطبراني، 186/8-187، رقم: 13671. المستدرك للحاكم، كتاب البر والصلة، ح 7310.

(14) صحيح مسلم، كتاب الذّكر والدّعاء والتّوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذّكر، ح 2699. سنن الترمذي، كتاب البرّ والصّلة، باب ما جاء في السّتر على المسلم، ح 1930.

(15) – زاد المعاد، ابن القيم، 69/1.

(16) رجال من التاريخ، الشيخ علي الطنطاوي، ص 21.

(17) السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة، مُحَمَّد أبو شهبة، 7/1.

(18) حياة الصحابة، الكاندهلوي، 15/1.

(19) مُحَمَّد الغزالي، فقه السيرة، ص 5.

(20) مُحَمَّد علي الحركان، السيرة النبوية في القرآن الكريم: دراسة وتحليل، ص7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com